مثلَ هذه المبالغ الكبيرة ثمناً لطابع بريد قديم لا يُمكن استعمالُهُ الآن . ولكنَّهُ لا محلَّ للعجب ، فإنَّ مثلَهم مثلُ مَن يُولعون بجمع التحف النفيسة ، أو بجمع الأواني الخزفية ، أو بجمع السجاجيد الجميلة ، أو بجمع نماذج النباتات أو الأحجار . فالإنسانُ إذا أُولعَ بشيء منذُ الصغر هانَ عليه كلُّ تعب ، وقلَّ في نظرِهِ كلُّ ثمن في سبيل الحصول عليه ، ولعلَّكَ أنتَ أيضاً ولعٌ بجمع نوعٍ معيَّنٍ من الأشياء ، فتشعُرُ بالسُّرور الذي يشعُرُ به كلُّ هاوٍ عند العثور على شيء من نوع ما يهوى .

ومن أشهر هُواة الطوابع في العالم جلالةُ الملكِ فؤادِ الأوَّل ، وجلالةُ ملكِ الإنجليز جورج الخامس . فعند جلالتيهما مجموعتان تحتويان على كلِّ نادرٍ وغريبٍ من طوابع البلاد المختلفة ، ولا تُقدَّران بمال .

سندباد البحار

كانَ سِندِباد جالساً في قصرِهِ العظيم في بغداد ذاتَ يوم ، إذ سمعَ حمالاً بجانب السُّور يقولُ : « الدُّنيا حظوظٌ ! ماذا فعلَ سِندِباد حتَّى استحقَّ كلَّ هذا النَّعيم . بينما أتعبُ وأكدُّ أكثرَ منهُ ، ولا أجدُ غيرَ الكفاف . » فتأثَّرَ سِندِباد لشكوى الحمَّال ، وناداهُ داخلَ القصر ، وأخذَ يقصُّ عليه قصَّتَهُ ، فقالَ :

« لو علمتَ يا صاحبي شيئاً من الآلام والمتاعب التي لاقيتُها في الحصول على ثروتي ، لرضيتَ بنصيبك في الحياة . انظرْ إلى شعري الأبيض وإلى وجهي الشاحب الهزيل . إنَّ مظهري يدلُّ على الهرم ، ولكنَّك تدهش لو علمتَ أنِّي عندما رحلتُ أبغي الثروة من طريق التجارة منذُ عهدٍ قريب ، كنتُ شابًّا يافعاً قويًّا . فلمَّا أبحرتْ بنا السفينة ، وابتعدتْ عن الأوطان ، اقتربنا من جزيرة خضراء . فنزلنا نستكشفُ ما فيها ، ولكن تبيَّنَ فيما بعدُ أنَّ ما ظنناهُ جزيرةً لم يكنْ إلاَّ ظهرَ حوتٍ عظيم ، إذ لم نكدْ نضعُ أقدامنا عليه ، حتَّى أخذَ يتمايلُ ، وغاصَ في الحال تحتَ الماء . وتركنا حيارى وسطَ الأمواج . وكانَ من حُسنِ حظِّي أنْ تعلَّقتُ بقطعةٍ كبيرة من الخشب حملتها الأمواجُ إلى جزيرةٍ مهجورة .

وقد وجدتُ فيها بعضَ أشجار الفاكهة ، فأكلتُ منها حتَّى ردَّتْ إليَّ عافيتي . ورأيتُ بين هذه الأشجار كرةً كبيرةً بيضاء يبلغُ قطرُها نحوَ خمسةَ عشرَ متراً . فرقدتُ بجانبها أستريحُ من عناء ما قاسيتُ من التعب والجوع . وبينما كنتُ على وشكِ النوم لاحظتُ أنَّ الأفقَ أظلمَ ، وأقبلَ نحوي

طَائِرٌ هَائِلٌ مَادًّا جَنَاحَيْهِ الْعَظِيمَيْنِ، وَحَطَّ فَوْقَ الْكُرَةِ الْبَيْضَاءِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: « يَا لَلدَّاهِيَةِ! مَا هٰذَا إِلَّا الرُّخُّ، ذٰلِكَ الطَّائِرُ الْعَظِيمُ الَّذِي كَثِيرًا مَا كَانَ يُحَدِّثُنَا عَنْهُ الْبَحَّارَةُ! وَمَا هٰذِهِ الْكُرَةُ الْبَيْضَاءُ إِلَّا بَيْضَتُهُ!! »

وَهٰكَذَا قَضَيْتُ لَيْلَتِي بِجَانِبِ الْبَيْضَةِ لَا أَقْوَى عَلَى الْحَرَاكِ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ.

وَفِي بُكُورِ الصَّبَاحِ طَارَ الرُّخُّ، وَكَانَتْ مَخَالِبُهُ الْقَوِيَّةُ قَدْ عَلِقَتْ بِمَلَابِسِي، فَحَمَلَنِي إِلَى أَعْلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ، وَطَارَ بِي إِلَى حَيْثُ لَا أَدْرِي. ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ، حَتَّى كِدْتُ أَفْقِدُ صَوَابِي. وَعِنْدَ مَا حَطَّ عَلَى الْأَرْضِ، خَلَّصْتُ مَلَابِسِي مِنْ مَخَالِبِهِ، فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي وَادٍ عَمِيقٍ مُحَاطٍ بِجِبَالٍ عَالِيَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ. وَمَا كَانَ أَشَدَّ فَرَحِي عِنْدَ مَا تَبَيَّنَ لِي أَنَّ هٰذَا الْوَادِيَ هُوَ وَادِي الْمَاسِ، وَأَنِّي مُحَاطٌ بِأَحْجَارِ الْمَاسِ الْكَرِيمَةِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ. فَأَخَذْتُ أَجْمَعُ مِنْهَا مَا أَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ. وَلٰكِنْ مَا كَانَ أَشَدَّ فَزَعِي عِنْدَ مَا تَبَيَّنَ لِي، بَعْدَ ذٰلِكَ، أَنَّ هٰذَا الْوَادِيَ مَسْكُونٌ بِالْأَفَاعِي الْكَبِيرَةِ الْقَاتِلَةِ، وَأَنْ لَا سَبِيلَ لِلْهَرَبِ مِنْهَا.

وَفِي الْحَالِ زَحَفْتُ دَاخِلَ كَهْفٍ، وَأَوْصَدْتُ فَتْحَتَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ. وَبَقِيتُ طُولَ اللَّيْلِ يَقْظَانَ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ، أَسْمَعُ صَوْتَ الْأَفَاعِي وَصَفِيرَهَا. وَلَمَّا لَاحَ نُورُ الصَّبَاحِ، عَادَتْ إِلَى أَوْكَارِهَا، خَوْفًا مِنَ الرُّخِّ الَّذِي كَانَ يَأْتِي نَهَارًا وَيَفْتَرِسُهَا. وَعِنْدَ ذٰلِكَ خَرَجْتُ مِنَ الْكَهْفِ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ صَدَمَنِي جِسْمٌ، أَتَى مُنْحَدِرًا عَلَى جَانِبِ الْجَبَلِ. فَاسْتَبَنْتُهُ، فَإِذَا بِهِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ اللَّحْمِ الطَّازَجِ. وَرَأَيْتُ قِطَعَ الْمَاسِ تَلْتَصِقُ بِهَا فِي أَثْنَاءِ انْحِدَارِهَا. ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ، فَوَجَدْتُ جَمَاعَةً مِنَ الرِّجَالِ يَسْتَعِدُّونَ لِقَذْفِ قِطْعَةٍ أُخْرَى مِنَ اللَّحْمِ. وَلَمَّا كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ قَبْلُ بِهٰذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَاسِ، لَاحَتْ لِي فِي الْحَالِ بَارِقَةُ أَمَلٍ فِي النَّجَاةِ. فَرَبَطْتُ نَفْسِي بِقِطْعَةِ اللَّحْمِ، وَرَقَدْتُ تَحْتَهَا. وَبَعْدَ بُرْهَةٍ نَزَلَ نَسْرٌ عَظِيمٌ، وَأَمْسَكَ بِقِطْعَةِ اللَّحْمِ، وَحَمَلَهَا إِلَى عُشِّهِ فَوْقَ الْجَبَلِ. وَكَانَ الرِّجَالُ يَتَرَبَّصُونَ بِالْعُشِّ، فَطَرَدُوا النَّسْرَ، وَأَخَذُوا يُقَلِّبُونَ قِطْعَةَ اللَّحْمِ لِانْتِقَاطِ الْمَاسِ، فَوَجَدُونِي مَرْبُوطًا بِهَا. فَحَمَلُونِي، وَشَارَكْتُهُمْ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَاسِ. حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا كِفَايَتَنَا رَكِبْتُ فِي سَفِينَتِهِمْ عَائِدًا مَعَهُمْ إِلَى بِلَادِنَا.

غَيْرَ أَنَّ هٰؤُلَاءِ الرِّفَاقَ أَسَاءُوا إِلَى الرُّخِّ. فَعِنْدَمَا اقْتَرَبْنَا مِنَ الْجَزِيرَةِ الْمَهْجُورَةِ نَزَلُوا إِلَى شَاطِئِهَا، وَأَخَذُوا مَعَهُمْ مِعْوَلًا حَطَّمُوا بِهَا بَيْضَتَهُ. وَلَمْ نَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ زَعَقَ الرُّخُّ زَعْقَةً مَلَأَتِ الْقُلُوبَ رُعْبًا. فَقَدْ رَأَهُمْ، وَهُمْ يُمَثِّلُونَ بِبَيْضَتِهِ. فَأَسْرَعُوا إِلَى السَّفِينَةِ، وَأَقْلَعَتْ بِنَا فِي الْحَالِ. وَلٰكِنَّ الرُّخَّ تَبِعَنَا يَحْمِلُ بَيْنَ مَخَالِبِهِ كُتْلَةً عَظِيمَةً مِنْ حَجَرِ الصَّوَّانِ، حَتَّى إِذَا صَارَ فَوْقَ رُءُوسِنَا قَذَفَ بِهَا عَلَى السَّفِينَةِ، فَنَاصَتْ بِنَا جَمِيعًا فِي

الماء. فتعلّقتُ بقطعةٍ من حُطام السفينة بإحدى يَدَيَّ، وأخذتُ أسبحُ بالأخرى. وكنت أحملُ نصيبي من الناس في منطقةٍ مشدودةٍ حولَ وسطي. وبعدَ قليلٍ وصلتُ إلى جزيرةٍ أخرى. وكانت هذه الجزيرةُ جنةً من جنانِ اللهِ في أرضِه. فيها ينابيعُ الماءِ العذبِ جاريةً، وكُرومُ العنبِ، وبساتينُ الفواكهِ المتعدّدةِ الأنواعِ. وهناكَ قابلتُ رجلاً عجوزاً غريبَ الأطوارِ. فأخذَ يُشيرُ إليَّ بعلاماتٍ، فهمتُ منها أنه يريدُ أن أحملَه، وأعبرَ به المجرى. ولمّا رفعتُه على ظهري، لفَّ ساقيه على رقبتي، وضغطَ بهما عليها ضغطاً شديداً، حتى أُغمِيَ عليَّ. ولمّا أفقتُ وجدتُه لا يزالُ راكباً على كتفيَّ. واستمرَّ على هذا الحالِ طولَ النهارِ وطولَ الليلِ. ولمّا استيقظتُ من النومِ في الصباحِ، وجدتُه كما كان. وقد أردتُ أن أتقوّى على حملِه، فأردتُ تناولَ شيءٍ من شرابِ العنبِ الذي عصرتُ عليه. فمنعني من شربِه وابتلاعِه كلِّه. فكان ذلك سبباً في نجاتي منه، إذ أسكرَه الشرابُ، فلانت ساقاه عن رقبتي، ووقعَ على الأرضِ، فقتلتُه في الحالِ.

ولمّا رجعتُ إلى شاطئِ الجزيرةِ، التقيتُ ببعضِ البحّارةِ وعدتُ معهم إلى بغدادَ. ولمّا علموا ما كان من أمري مع رجلِ الجزيرةِ العجوزِ قالوا: «هذا هو الذي تُسمّيه البحّارةُ (عجوزَ البحرِ) وأنتَ أولُ من نجا منه، إذ لم يقعْ في قبضتِه رجلٌ إلا ومات خنقاً من ضغطِ ساقيه.»

ثم قالَ سِندباد:

«والآنَ يا صديقي، ألا ترى أنّي أستحقُّ كلَّ ما أخضرتُه من وادي الناسِ؟» فوافقَه الحمّالُ على ذلك. وذهبَ إلى منزلِه قانعاً بنصيبِه من الحياةِ، بعدَ أن أعطاهُ سِندباد هديةً قيّمةً تساعدُه على العيشِ.